الحلقة 14

عبد الوهاب عبد العزيز العثمان (1)

إعداد: مازن خرابة

« 1323 - 1408 » هـ « 1905 - 1987 » م

يعد العمل الخيري والإحسان للآخرين سمة بارزة في الكويت، فمنذ القدم جبل أهل الكويت على حب الخير و حرصوا على الإحسان للآخرين، لمساعدة المحتاجين، وتقرباً إلى الله عز وجل. فكانوا يفرحون بحب الناس، ودعواهم لهم بالخير والفلاح. فقدم هؤلاء نماذج رائعة في الأعمال الخيرية داخل الكويت وخارجها أبرزها عمارة العديد من المساجد ، وكفالة الأيتام في ، وتأسيس عدد من المدارس الإسلامية.

فأهل الخير والإحسان في الكويت أكثر من أن نحصيهم ونعدهم، وبخاصة في الشدائد والمحن التي ظهر فيها معدنهم الأصيل، إذ تنافسوا في عمل الخير و بذل المعروف، فأنفقوا على الفقراء والمساكين وذوي القربى وأبناء السبيل، وبنوا المساجد والمدارس والمعاهد والمستشفيات ودور الأيتام وحفروا الآبار، فملأت سيرهم العطرة الآفاق، ونحن في «الوسط» سنقوم بنشر سير بعض المحسنين العطرة في هذا الشهر الفضيل في حلقات يومية، اقتباساً من كتاب « محسنون من بلدي».

ويعد الكتاب الذي أصدره بيت الزكاة على عدة أجزاء لمحة وفاء، وتوثيقاً لسير المحسنين وتذكرة بأعمالهم الخيرة، وتخليداً لذكراهم العطرة. وسنتوقف في هذه الحلقة مع سيرة عبد الوهاب عبد العزيز العثمان.

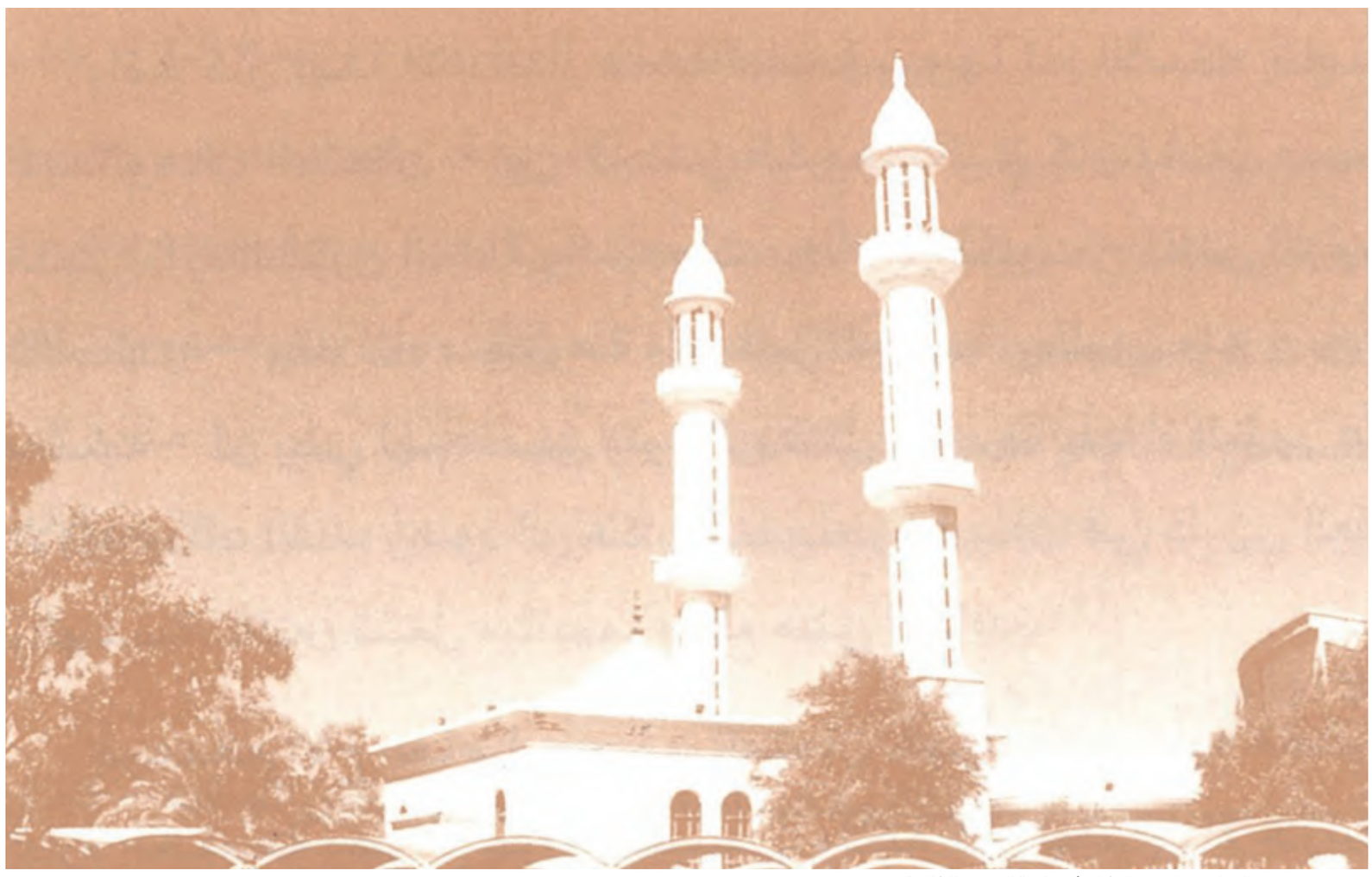
مسجد المرحوم عبدالوهاب عبدالعزيز العثمان في جامعة الكويت بالخالدية

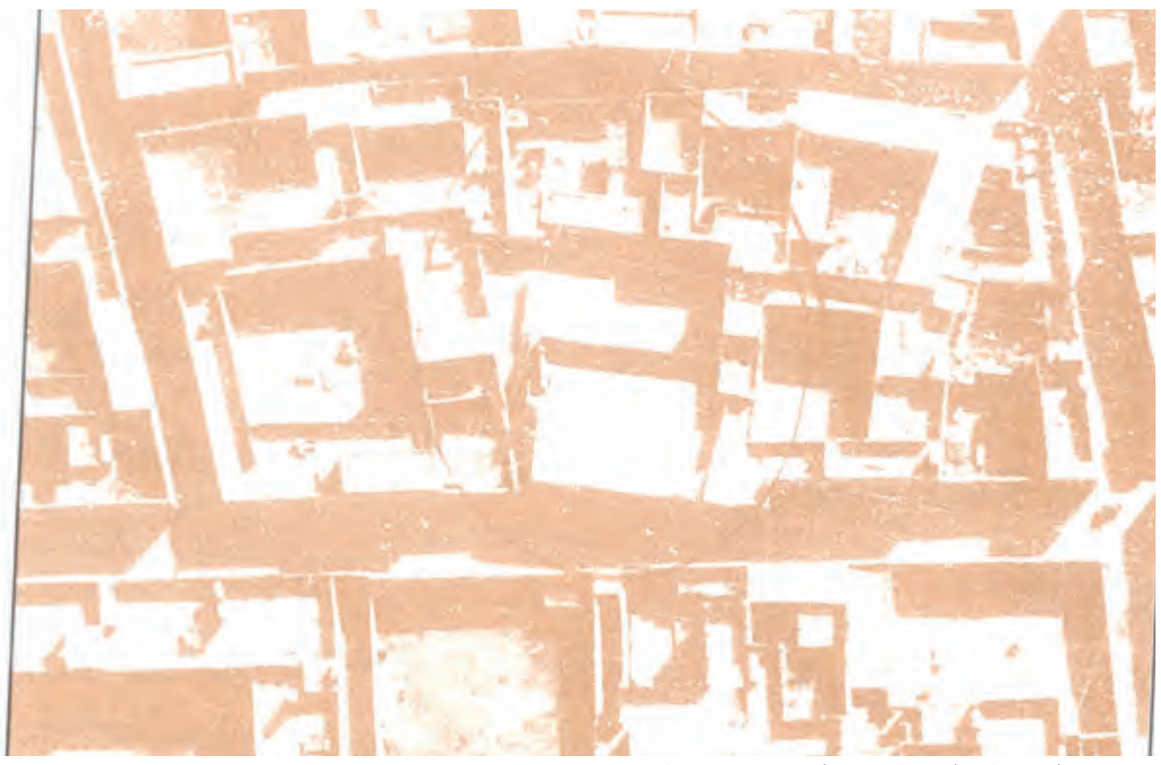
منظر جوي لفريج العثمان في منطقة القبلة وفيه بيوت ومسجد العثمان

المولد والنشأة

هو عبد الوهاب بن عبد العزيز بن عثمان، المولود في منطقة القبلة في مدينة الكويت عام 1323 ه الموافق لعام 1905 م، لُقب بشيخ النواخذة في الكويت لما له من جاه وصيت في هذا المجال. ينتمي النوخذة عبد الوهاب العثمان إلى عائلة توارثت العمل في البحر أباً عن جد. وهي عائلة كويتية عريقة ارتبط تاريخها بالبحر من أول يوم قدم فيه عميدها عبد العزيز بن عثمان من نجد، وهو من النواخذة المعروفين في زمانه في الكويت، وتعود أصوله إلى قرية جنوبية سدير (الجنوبية) في منطقة سدير في نجد بالمملكة العربية السعودية، التي ارتحل منها إلى الكويت في حوالي عام 1274 ه (1857 م)، وكان عمره حينئذ اثني عشر عاماً.

وبعد أن وصل إلى الكويت قرر أن يتخذ العمل في البحر مهنة له، إذ كانت الكويت مزدهرة بالتجارة في ذلك الوقت ومشتهرة بحرفة الغوص على اللؤلؤ، وكذلك السفر التجاري بالسفن الشراعية إلى سواحل الخليج العربي واليمن والهند وسواحل إفريقيا.

وقد كان عبد العزيز بن عثمان ذا طموح كبير، فعمل بكل همة ونشاط في سبيل تحقيق ما وصل إليه من نجاح بعد ذلك، وكان يتمنى أن يمتلك سفينة شراعية تقف أمام منزله على شاطئ البحر، وله في ذلك مقولة مشهورة وهي: «لن أتزوج حتى أربط البري».

ولما تجمع لديه ما يكفي من المال اشترى أول سفينة شراعية، وكان يقودها بنفسه للسفر والتجارة ما بين الكويت وموانئ الهند واليمن، ومرت السنوات، وتحقق له مراده بالتوكل على الله تعالى المقرون ببذل الأسباب، فتزوج عبد العزيز ورزقه الله من البنين: عبد الله وعثمان وعبد الوهاب.

ولعل أبرز مؤشرات الارتباط الكبير لأسرة العثمان بالبحر ما يلي:

– بروز ستة عشر نوخذة للسفر الشراعي في الكويت من هذه العائلة الكريمة، توارثوها أباً عن جد وتناقلوها أخاً عن أخ وجيلاً بعد جيل، وهو أكبر عدد من نواخذة السفر الشراعي برز من عائلة واحدة.

– امتلاكهم أسطولاً كبيراً يعتبر أحد أكبر أساطيل السفر الشراعي الكويتي الذي وصل إلى سواحل الخليج ومسقط واليمن والهند وإفريقيا.

ومن أشهر سفن هذا الأسطول : تيسير ومساعد وموافج والباز وفتح الرحمن، وفتح الكريم، فضلاً عن أبوام الماء (سفن نقل الماء من شط العرب إلى الكويت) الكثيرة، التي لم يحفظ التاريخ أسماءها، بالإضافة إلى أسماء سفن السفر الشراعي الأخرى التي لم يحفظها لنا التاريخ أيضاً مع الأسف.

– تميز عدد لا بأس به منهم بأن طاقمه البحري (اليزوة) جميعه من أهل الكويت، في حين أنه من المشهور استعانة النواخذة الكويتيين بخليط من البحارة الكويتيين وغيرهم من أهل الخليج وخاصة عمان والإمارات العربية المتحدة، قبل تشكيل دولة الإمارات في كيانها الحالي بل قبل ظهور النفط فيها وفي الكويت، وفي ذلك دلالة واضحة على حرص نواخذة العثمان على استقطاب أفضل الكفاءات المحلية، ولو كان ذلك مكلفاً من الناحية المادية.

– تميز أسطولهم بحسن الصنع، لحسن انتقاء الأساتذة والقلاليف، الذين يبنون لهم (يوشرون) سفنهم، وإذا ما قُرن ذلك العامل بعامل ثان وهو حذقهم ومهارتهم البحرية، وعامل ثالثٌ مهم وهو حسن نيتهم وسلامة سريرتهم، كانت هذه العوامل الثلاث مجتمعة من أهم أسباب نجاحهم الكبير في صناعة السفر الشراعي، وكذلك عدم تعرض سفنهم إلى كوارث أو حوادث جسيمة تذكر، إذا ما قيست بعددها الكبير. وقد أشار د. عبد المحسن الخرافي في كتابه «النوخذة عبد الوهاب عبد العزيز العثمان ريادة عائلة وتميز إنسان » إلى توافق عجيب ولطيف في الوقت نفسه ينم عن الخيرية في آل العثمان، إذ يقول:

قليلاً ما تحدث في هذه الحياة موافقات واضحة تشد إليها الناظرين وتلفت انتباههم لأن مفردات الحياة وأحداثها كثيرة جداً ولا تأتي أحداثها بالضرورة على نسق واحد، غير أننا في حالة نواخذة السفر الشراعي من أسرة العثمان الكريمة أمام حالة لطيفة وعجيبة من حيث التوافق الذي سنحاول تقديم تفسير منطقي وواقعي له.

فمن الجدير بالذكر هنا أنني قد وجدت تزامناً يستحق الوقوف، وتوافقاً يقتضي التأمل بين أن عائلة العثمان قد ضمت أكبر عدد من نواخذة السفر الشراعي وبين أن رجالاتها ونساءها على السواء قد بنوا أكبر عدد من المساجد في الكويت، تبنيها شخصيات من عائلة واحدة، وهذه مناطق الكويت تشهد لهذه العائلة ببذلها في سبيل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن ضمن ما أمكننا حصره من بيوت الله تعالى التي بناها آل عثمان الكرام تسعة مساجد في مختلف مناطق الكويت وثلاثة خارجها.

ولعل السبب في كثرة المساجد التي بناها آل عثمان واضح وجلي، فالتنوخذ ملكة قيادية غالباً ما ينمو معها طبع الأصالة والكرم وحب الخير والريادة بين الناس، ولا خلاف على أن في بناء بيوت الله تعالى تيسيراً للشعائر التعبدية للناس، وهو أكبر دليل على هذا الحب.

وليس بغريب عليَّ أبداً عزيزي القارئ أن يتوافق كون عائلة العثمان من أكثر العوائل التي ظهر منها نواخذة سفر، وظهر منها أيضاً من بنى بيوتًا لله تعالى، فكان عدد ما بنته من بيوت الله تعالى في الكويت أكبر عدد للمساجد بنته رجالات ونساء من عائلة واحدة في الكويت كما أسلفنا آنفاً. سجل حافل لعائلة العثمان لا نستطيع حصره في هذه العجالة وقد لخصنا ما تيسَّر من كريم مناقبها وأصيل رجالاتها، وكم أخرج رحم الكويت من عائلات عريقة قدمت للوطن رجالات حققوا الإنجازات فكانت كويت الماضي، وكويت الحاضر، وستكون كويت المستقبل إن شاء الله.

تعليمه

كعادة أبناء الكويت في ذلك الوقت التحق عبد الوهاب عبد العزيز العثمان بالكُتّاب وتعلم فيه القرآن الكريم والحساب والخط، ثم التحق بمدرسة الملا هاشم الحنيان. وقد كانمن أساتذته وشيوخه آنذاك السيد هاشم الحنيان والسيد سعد بن شرهان والشيخ يوسف بن حمود والملا عبدالعزيز العنجري، وعندما بلغ السادسة عشرة من عمره اتجه إلى تعلم أصول الملاحة وقيادة السفن الشراعية.

أوجه الإحسان في حياته

لا شك أن عمل أهل البحر جعلهم يطلعون على كثير من آيات الله تعالى، المبثوثة في أرضه وسمائه وبحاره، فيرون ما لا يراه غيرهم من عجيب صنع الله تعالى وعظيم خلقه وتدبيره، كما أن إحساسهم بأنهم قد يتعرضون للمخاطر في أي لحظة، وقد يواجهون الصعاب في أي موضع (لا سيما في أوقات العواصف) جعلهم قريبين من الله تعالى، متوكلين عليه ينزلون به حاجاتهم كل حين، رجاء حفظه وسعة رزقه.

ولذلك كان المقتدر منهم يعطي الفقير والمحتاج ولا يتأخر عن بذل المعروف في ليل أو نهار عملاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم:

(التتمة الحلقة المقبلة رقم 15)